

تأثير العوامل القومية في صياغة أسلوب وخصائص تقسيم الأقاليم العمرانية

د. محمود أمين علي

قسم الهندسة المعمارية - كلية الهندسة والتكنولوجيا - جامعة المنوفية
خبير تخطيط حضري - وزارة الشؤون البلدية والقروية - المملكة العربية السعودية

الملخص

تعتمد الدول إلى أعداد خطط التنمية الإقليمية كمرحلة انتقالية وتفعيل للإستراتيجيات والسياسات التنموية القومية، وفيها تقوم بأعداد مخططات التنمية المتنوعة للحيوز الجغرافية التي تشتمل في نطاقاتها على مجموعات متجانسة ومتكاملة من التجمعات العمرانية. وتحدد هذه الحيوز الجغرافية الإقليمية في صورة مخططات تقسيمات الأقاليم العمرانية، التي تتشكل بفعل العديد من العوامل القومية المؤثرة على أسلوب وخصائص تقسيمات هذه الأقاليم. وتتمتع الدول عادة بالكثير من التفرد في خصائصها وعواملها القومية، المؤثرة في أعداد مثل هذه المخططات الإقليمية، مما يؤدي إلى تميز هذه المخططات بخصائص تعكس التأثير الفعلي لهذه العوامل القومية على خصائص تقسيمات هذه الأقاليم. وبرغم التفاوت بين تجارب الدول في مدى إيجابية التفاعل بين تأثير هذه العوامل وخصائص تقسيمات هذه الأقاليم، إلا أن هذه المخططات لا تخلو من انعكاسات ومؤشرات تثبت تفاعل هذه المخططات مع تأثيرات تلك العوامل. ويهدف البحث من خلال الدراسات التحليلية لطبيعة هذه العوامل والتأثيرات، والمقاربات والمقارنات الاستدلالية بين بعض التجارب الدولية، إلى ألقاء الضوء والاستدلال على حقيقة وكيفية هذه التفاعلات.

١ الإقليم: رؤى معرفية وتعريفات

تتنوع رؤى الباحثين والمنظرين لكيفية تعريف وتحديد الإقليم، ويرجع هذا التنوع إلى تنوع الخلفيات المعرفية والتخصصات العلمية لهؤلاء الباحثين والمنظرين. وتتخذ هذه التعريفات صبغات ذات مرجعيات عدة، فمنها التعريف الطبيعي والبيئي، التعريف الاقتصادي، التعريف الاجتماعي والثقافي، التعريف العمراني، والتعريف الإداري والسياسي. فعلى سبيل الاستدلال نجد لويس ممفورد (Mumford) لكونه عالما متخصصا في علوم الاجتماع الحضري يصيغ تعريفه للإقليم على خصائص الموقع والمساحة والنطاق الجغرافي المتضمن لشبكة من التجمعات السكانية التي تشتمل على مجموعة من المراكز الحضرية (المدن) والتوابع الريفية (القرى)، وتكون ذات علاقات تفاعلية و تبادلية متكاملة، بينما يرى منشل (Minshull) أن الإقليم هو الحالة الطبيعية التي تميز سطح وحيز مكاني من الأرض، من حيث تجانس وتشابه التضاريس ومكونات التربة وخصائص المناخ وصفات الحياة النباتية والحيوانية والعناصر الطبيعية والبيئية الأخرى. أما رينز (Rennez) فيرى أن الأقاليم هي كيانات أصيلة متفردة، لكل منها شخصية متميزة تعبر عن التمايز الطبيعي والاجتماعي والثقافي بالمقارنة بجيرانها من الأقاليم الأخرى، ويضيف لينمان (Leneman) إلى ذلك بعدا هاما هو البعد الاقتصادي، فيرى أن الإقليم هو الحيز الجغرافي المشتمل على عدد من التجمعات السكانية والعمرانية المتصفة بخصائص اجتماعية متشابهة ومتجانسة، وخصائص وعلاقات اقتصادية مترابطة ومتكاملة. وفي معالجة أكثر شمولية في تعريف الإقليم يأتي بيرلوف (Perloff) برؤية شاملة لعدة عناصر في تعريف وتحديد الإقليم حيث يرى انه يتحدد بناء على عوامل عدة اقتصادية واجتماعية وجغرافية وعمرانية وإدارية، بحيث يمثل الحيز الجغرافي للإقليم وحدة تخطيطية وظيفية متكاملة بالمقام الأول، وذات علامات جغرافية طبيعية مميزة بالمقام الثاني [٢].

١/١ التخطيط الإقليمي: المضمون والغايات

يمثل التخطيط الإقليمي الحلقة الوسطى في سلسلة مستويات التخطيط التي يبدأ أعلاها بالتخطيط القومي، وينتهي أدناها بالتخطيط المحلي. يسعى التخطيط الإقليمي إلى تحقيق التنمية الإقليمية الشاملة لحيوز جغرافي يشمل في نطاقه مجموعة من التجمعات العمرانية التي تجمعها وحدة الخصائص الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية. في هذا الإطار يعد من أهم محاور عمل المخططات الإقليمية هو التوزيع الأمثل للسكان في الحاضر والمستقبل على التجمعات العمرانية بالإقليم بما يتناسب مع الطاقة الاستيعابية لها، مثل هذا التوزيع يهدف إلى تحقيق التنمية والاستثمار الأمثل لإمكانات ومقدرات الإقليم، بما يعظم الناتج من فرص العمل والدخول، ويحقق الارتفاع بالمستوى المعيشي للسكان. يكون ذلك كله في إطار من تحقيق الاتزان بين التوزيع الديموجرافي للسكان والتوزيع الاقتصادي للاستثمارات والتوزيع العمراني لمشروعات التنمية والأعمار على هذه التجمعات. على أن يؤخذ بعين الاعتبار أسس وقواعد الاستدامة عند أعداد خطط التنمية، بحيث تركز على مفهوم عدم استهلاك الموارد ودعم مقومات تجدها. بناءا على ذلك يمكن إيجاز أن التخطيط والتنمية الإقليمية هي تنمية متعددة الجوانب والأبعاد، تتضمن التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والتنمية البيئية والتنمية العمرانية، وذلك في ظل مفاهيم وأسس التنمية المستدامة [٣] [٢].